مساحة خضراء

«حفيدي الثاني» لسلاَّم

فؤاد عبدالقادر

□ لا نعرف أين غاب وجه الجميل خلقاً وخُلقاً القاص عبدالإله سلاّم، مَنْ يعرف الضابط المثقف سلاّم، يقف له تعظيم سلام.
سنوات عديدة لا أعرف أو أتذكر عدد السنوات، غياب أثر كثيراً في نفسي، لم أعد ألتقي به إلا نادراً.
هو صديق عزيز، وضابط متميز، جمع بين الأدب والانضباط العسكري، خدوم، طيب القلب، مقاتل عرفته كل جبهات القتال خلال حرب الثورة والجمهورية، كما شارك في الدفاع عن صنعاء إبان حصار السبعين، تنطبق عليه مقوله »يد تقاتل ويد تحمل السلاح«.
نشيط كنقابي في فرع اتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيين فرع تعز، هكذا عرفته وعشت معه خلال السبعينيات.
مرّت هذه الأفكار أو الذكريات وأنا أتصفّح إصداره الثاني مجموعته القصصية »حفيدي الثاني«.
المجموعة كان قد أهداني إياها قبل سنوات، ووضعتها في مكتبتي المتواضعة، وقد قرأتها قصة قصة وتمعنت بكل أفكارها وحبكتها بما حملت من جوانب إنسانية خلاقة، قصص متنوعة شاملة، منها ما تنطبق عليها بالمدنية، ومنها ما تعلق بجوانب أخرى، قصص رائعة تستحق أن يقرأها المرء أكثر من مرة.
الصديق العزيز الأديب القاص عبدالإله سلاّم، حيثما كنت لك التحية والأشواق والتقدير والاحترام.

ترشيح كتاب ابن خلدون ضمن ‹ذاكرة العالم› باليونسكو

الرباط /
وقع الاختيار على مشروعين مغربيين ليكونا ضمن لائحة الترشيحات للتسجيل ضمن التراث الوثائقي العالمي في إطار البرنامج «ذاكرة العالم» الذي أطلقته اليونسكو.
وذكر بلاغ للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية أن المشروعين شكلا موضوع نقاشات هامة خلال اجتماع للجنة «ذاكرة العالم» انعقد مؤخرا بمانشيستر، موضحا أن «التراث المغربي استأثر باهتمام أعضاء اللجنة الاستشارية الدولية لمنظمة اليونسكو».
وتم اختيار الكتاب المعنون «كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» لمؤلفه عبدالرحمن بن خلدون، ضمن المشاريع التي وقع عليها اختيار لجنة «ذاكرة العالم».
ويرى مدير المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، إدريس خروز، عضو المجلس الاستشاري العالمي لبرنامج «ذاكرة العالم» الذي شارك في أشغال اللجنة، أن المغرب يتوفر على مؤهلات كبيرة، لكن المسئولين المغاربة سواء على المستوى المؤسساتي أو الجامعي أو الجهوي لم يستوعبوا بعد ثقافة التراث لتثمين غنى المغرب في هذا المجال وجعله أحد مرتكزات التنمية السياسية والاجتماعية بالمغرب.
يشار إلى أن برنامج «ذاكرة العالم» الذي أحدث سنة ١٩٩٢ تحت رعاية منظمة اليونسكو يتوخى تعريف المجتمع الدولي بغنى التراث الوثائقي، وضرورة ضمان الحفاظ عليه للأجيال الصاعدة وجعله في متناول شريحة عريضة من المجتمع .

في غيبوبة الذكرى:

دراسات في قصيدة الحداثة

النقد مثل الفن ينبغي أن يضع نصب عينيه إمتاع القارئ أو المتلقي، فإذا ما خلا من ذلك فقد الكثير من حضوره وتأثيره، ولا يتم هذا الإمتاع إلا بالتشابك والمواكبة مع المهمة التي يتصدى لها هذا النقد وهي تحليل النص وإضاءة مافيه من بؤر جمال وفرادة ، أو فضح مايحتويه من قبح وقتامة.
وفي الكتاب الذي سنتناوله في الأسطر التالية للكاتب والناقد الدكتور حاتم الصكر والمعنون بـ«في غيبوة الذكرى.. دراسات في قصيدة الحداثة» سنطوف معه على دروب الشعر المتنوعة خصوصاً تلك التي عبدها وطرقها شعراء «ثوريون» قاوموا الرتابة والتكرار منذ نصف قرن، من أجل البحث عن جماليات جديدة توائم العصر وتلبي أشواق الذواقة إلى الجديد الذي يخاطب ميولهم وأمزجتهم. فبحذاقة ونباهة يسير الدكتور حاتم الصكر بين حدائق الشعراء، فيشير إلى وردة مضيئة هنا أو غصن أخضر هناك أو شجرة مورقة في الزاوية، فنتأملها معه ونستمتع بكيفية التعامل مع هذه الكنوز «الطبيعية» من الشعر.
ويؤكد الدكتور حاتم الصكر في هذا الكتاب الصادر عن مجلة دبي الثقافية في ٢٧٠ صفحة أن الكتابة النقدية عنده تتكئ بصورة رئيسة على إمتاع القارئ من خلال مقدرته الفائقة على كشف كل مخبوء في النص ليقدمه لنا في صياغات نقدية بالغة الرقة والعمق، خالية من تعالي بعض الأكاديميين وجفاف كتاباتهم فإلى التفاصيل:

عرض/ خليل المعلمي

في تقديم الكتاب يتساءل المؤلف هل تصلح الذكرى مناسبة للقراءة؟. وهل تحل غيبوبة الإنسان نصاً ووجوداً مبرراً بديلاً لتلك الذكرى الغابرة التي تظل كاسم الوردة بعد زوال كيانها وانقضاء عطرها؟..
فمن العطر والكيان والاسم تتدرج قراءة الغيبوبة والتذكار، لأن النصوص المعروضة في الكتاب وقعت في حيز الانقضاء زمنياً وهذا ما ظل منها تتشبث به القراءة لتمنحه الكينونة وتقاضي حداثته وتؤوله على أساسها بالاقتراب الحميم منه.

قصيدة النثر

إن قصيدة النثر هي قصيدة رؤيا في المقام الأول لكنها بحسب الدكتور حاتم الصكر بتفجير طاقات النثر والاستعانات السردية تباين النموذج الجبراني الشائع في الشعر العربي المنثور الذي كتبه جبران والريحاني أو الشعر الحر حسب اجتهاد جبرا وأطروحته المعروفة داخل تجمع «شعر» ولكن الإحساس لايزال قائماً حول الشكل الإنشائي أو الخطابي لقصيدة النثر بما يعزز نصوصاً ذات كيانات لغوية موشاة بالصور الزاهية والتشبيهات المبتذلة «أي المستهلكة صورياً» والمتميزة بميوعتها العاطفية وانشدادها إلى بريق النثر في ظن أن قصيدة النثر نوع هجين يأخذ وجوده من خلايا حياتية متباينة لإنتاج نوع زائف لا هو شعر ولا نثر.. ولعل هذا الإحساس حدا بأدونيس للتراجع عن مصطلح «قصيدة النثر» لصالح مصطلح أكثر بلبلة هو «كتابة الشعر بالنثر» لتأكيد الحاضنة «الشعرية» لقصيدة النثر.
ويشير الدكتور الصكر إلى أن جبران ومن خلال كتاباته النثرية الإشراقية يعتبر أحد مراجع قصيدة النثر إضافة إلى الكتابات الصوفية الاشراقية في التراث العربي هي مرجع آخر مهم لها إلا أن الخلط بين النثر الفني والقصيدة الحديثة يضر بهذه الأخيرة أيهما ضرر ويؤكد نثريتها في ذاكرة القارئ العربي.. مؤكداً أن قصيدة النثر لا تخضع لقواعد جاهزة كالأنواع الأخرى وإنما لقوانين مستخلصة شيئاً فشيئاً من النصوص وذلك جزء مهم من شعريتها فهي انعكاس لتمدد وخروج عن المألوف فنياً وايديولوجياً ومعرفياً.

قصيدة الحدث بين الموضوع والفن

يبدو أن الكتاب العرب والمهتمين بالكتابة يصلون إلى قضايا عصرنا متأخرين دائماً ويتضح ذلك فيما يخص الحداثة «تعريفها ، مفهومها، زمنيتها» وتمظهراتها وتجلياتها «قصيدة النثر، الكتابة النسوية، التجريب، مناهج النقد»، فاللغة العربية يقول الدكتور حاتم الصكر تعطينا على المستوى الصرفي مفارقة أخرى فالألف الفارقة بين الحدثي والحداثي تجعل من الحداثة «حدثاً» لم يؤلف من قبل فهي أصلاً «حدث» لكنه ذو جدة وخروج على السائد والمجتر –فالحديث نقيض القديم– كما في لسان العرب والحديث نقيض القدمة وحداثة السن كناية عن الشباب وأول العمر، فيما تقبع في زوايا المعجم تداعيات ونداءات أخرى تجعل الحداثة مرادفة للخرق أو المروق وتكون محدثات الأمور: هي ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها، فهذه التناغمات الصوتية تباعد مفهومياً بين الحدث الحادث والحديث المبتدع بقدر تقاربها الصرفي واللفظي.
ويضيف: فالحدثي والحداثي يتقابلان بضدية واضحة رسخت في أطروحات الحداثة العربية وارتضاها أنصارها وخصومها فالغموض مثلاً هو أبرز مزايا النصوص الحديثة بمبررات الضرورة الفنية ومستويات التمثيل وتبدلات الوعي باللغة والصورة والإيقاع لكن الغموض ذاته هو أبرز العيوب التي يأخذها الخصوم على شعر الحداثة، فكيف يلائم الغامض الواضح بل كيف يرى النص خطته وهو فاقد النظر تحت قوة ضوء الحدث؟
كما يؤكد أن الحداثة لا تستخدم اصطلاحياً للدلالة على المعنى الزماني مادامت ذات اشتراطات فنية، من هنا يصبح أثناء نصوص أي عصر (غير عصرنا) إلى الحداثة ممكناً بوجود تلك الاشتراطات كما يصبح ممكناً لتلك الصفة من نصوص معاصرة لنا.
ويرى الدكتور الصكر أن محاولة إقصاء الحدث والاكتفاء بتمثيل أثره قد أزعجت الواقعيين وشوشت مراياهم التي يرتعونها أمام الواقع.. لذا حاولوا من طرفهم التقدم بحلول جمالية وسطى وهو ما سيشيع تحت مسميات مكيفة مثل الواقعية الجديدة وجماليات الواقع أو اكتشاف قوانينه الفاعلة لا سطوحه.. وهذا دور منوط بالنقد أيضا.
مشيراً إلى أن درويش قد أفلح في حل مشكلة الحدث والحداثة والوطني والإنساني وكذلك في حل ثنائية أكثر تعقيداً هي أنا الشاعر وأنا الجماعة التي تضغط عليه، لا من خلال إدماجها ذاته في أحداثها الكبرى ومفردات حياتها الصاخبة بل في استعارة هذه الأنا الشعرية لخدمة الجماعة.
واستعرض الصكر في هذه الجزئية دور الشعراء المعاصرين من خلال قصائدهم النثرية ودورهم في إثراء المشهد الشعري النثري من أمثال الشاعر الفلسطيني محمود درويش وأدونيس وغيرهم.

قصيدة المنفى

يحتفي خطابنا النقدي العربي المعاصر ويتسم بأنه منتج حداثي بالمصلطح ويطيل الوقوف عند الدال الاصطلاحي ويتعقب المدلول المفهومي «أو المدلولات المتسقة عنه أو المتحددة منه» وهذه السمة يشيح عنها ناقدو نقدنا العربي الساخطون تجنباً لمجاراة الاستقصاء اللغوي القريب من الفيلولوجيا أو التنظير الجمالي المتمثل للتذوق على مستوى نظرية الأدب.
ويرى الدكتور الصكر أن شعراء الجيل الأول في ظاهرة المهجرية العربية يبدأ من انقطاع مماثل ولكن لسبب مختلف فشعراؤه لم يجددوا إرثاً في مهجرهم يلهمهم كيفيات أو أساليب التعبير عن المكان فكان ذلك الغياب فرصة لهم كي يؤكدوا أشكالاً جديدة على مستوى الصلة بالمكانين (الخارج والداخل) ويقترحوا صياغات كانت تعد جديرة وجريئة ومغايرة في السائد من الكتابة الشعرية آنذاك.
لكنهم من جهة أخرى راحوا يرتبون صلتهم بثقافة المكان الجديد لأنهم لم يرتبطوا به ثقافياً ولم يتمثلوه في أوطانهم على عكس ما يحصل في حالة الجيل المهجري الجديد الذي جاء إلى الخارج مستوعباً بطريقة أو بأخرى وكجزء من عناصر المشروع التحديثي الشعري العربي لثقافة الخارج لذا كان أثر «الخارج» شعرياً وثقافياً أثراً بسيطاً في حالة جبران وزملائه لا يتعدى في أحسن الفروض تجربة الشعر الحر والمنثور على وفق النموذج الويتماني «نسبة إلى ويتمان» ويرقى إلى نيشته في عمل جبران المدهش والفريد.
والمهجرون الجدد زاهدون في التأثير المعاكس حتى لمن كان منهم يغامر قبل هجرته بالكتابة باللغة الاجنبية وبدلاً من ذلك عكفوا على تطوير رؤاهم وأساليبهم بالاتجاه ذاته الذي بدأوه في أوطانهم.
واستعرض الدكتور الصكر الصور الجمالية والفنية لبعض شعراء المهجر مثل بلند الحيدري وفاضل العزاوي والشاعر السوري رياض العبيد والريحاني ولينا الطيبي والبياتي والجواهري وغيرهم من الشعراء ليظهر لنا مقارنة بين شعراء المهجر القدامى والجدد.
ويعبر عن ذلك بقوله: إذا كان المهاجرون الأوائل قد اسموا العالم الجديد الذي هاجروا إليه باسم «الاندلس الجديدة» فإن المهاجر الجديد يعلم أنه مخذول قبل أن ينادي أندلسه لأنها ضائعة في الزمن ماثلة في المكان محفورة في الوعي لكنها عصية كأرضه المهجورة الحاضرة في الزمن والغائبة في المكان.. فأية أندلس من بعد ينشدون وهم على أرض وهم هاربون من أرض وهم لاجئون إلى وهم يؤسسه التاريخ فيشعل مواجيدهم وأشواقهم تعويضاً عن مرارات وخيبات غزيرة.

القصيدة بين السياسة والوطنية

ليست القصيدة السياسية هي القصيدة الوطنية والعكس ليس صحيحاً كذلك، أي أن القصيدة السياسية ذات كيان نصي مختلف عن القصيدة الوطنية وإن تقاربت المضامين أحياناً بين النوعين.
ويرى الدكتور حاتم الصكر أن القصيدة الوطنية تهتم بسبب منطلقاتها العامة وغير المنتمية انتماءً ضيقاً إلى فلسفة أو ايديولوجيا محددة بقيم عامة تهم الوطن الذي تنشغل بهمومه وأحداثه وتستثير بسبب ذلك الركائز الحضارية والمدنية وتحث على استدعائها لإنجاز المهمات الوطنية مخاطبة الفرد عموماً كمواطن وليس المنتمي للفصيل السياسي وشعاراته ولا المنتمي للاصطفاف الحزبي وحده.
ويضيف أن القصيدة الوطنية وعلى مدى تاريخها سجلت مواقف ألهبت الكفاح ضد المستعمر والظلم وتوسعت مهمتها لنرى العدل الغائب والفقر والمكانة المتردية للمرأة والتعليم وغير ذلك مما لا تعيره القصيدة السياسية اهتماماً كافياً لانشغالها بالبرامج الظرفية والآنية.
وبالنسبة لشعراء القصيدة الوطنية لم يكونوا سياسيين بالمعنى المتداول فقد كان همهم الأول مصلحة الأوطان ومايدل على ذلك ماقدمته الجزائر وأبناؤها من كفاح ومقاومة للاستعمار الفرنسي، إذ كتب شعراءها وأدباؤها بالعربية والفرنسية نصوصاً تلامس دائرة الوطن ولا تفرق في حسابات حزبية محددة وكان لها أثر في إلهاب مشاعر المتلقين وبث روح المواطنة فيهم ورفض الاحتلال ومقاومته.

قصيدة النثر وحجاب التلقي

ينقلنا الدكتور حاتم الصكر في هذا الجانب إلى إشكاليات قصيدة النثر وظهور مصطلحات الحجاب والجدار ترددت على قصيدة النثر فيقول: لعل أبرز إشكالات قصيدة النثر وسوء قراءتها يأتي من دورها في تلخيص سؤال الحداثة ومصيرها وبلورة فعل التحديث بعد سلسلة رضاتٍ ومحاولات تجديد لامست شكل القصيدة غالباً.. أو تطوير أغراضها ومعانيها لكن مقترح قصيدة النثر تجاوز تلك المهمة التطويرية والتجديدية إلى جوهر الكتابة الشعرية من حيث هي معرفة وصلة بالعالم عبر وعي خاص ومختلف وبرؤية تحديثية تنسف تماماً كل ما استقر في ذخيرة القراءة ذاتها من تصورات عن مفاهيم الشعر وتشكلاته البنائية وعلاقته بالأجناس الأخرى وفي المقدمة منها نقيضه الأزلي.. النثر.
وبالنسبة للموقف النقدي من تعقيد عملية التلقي ربما قد زاد حيث يقترح ناقد مثلاً قراءة قصيدة النثر بكونها جنساً ثالثاً عابراً للأنواع إلى جانب الشعر والنثر وذلك يؤجل تحقق التلقي المنشود ويرهنه ببلورة هذا الجنس الإبداعي المقترح الذي عانى الضبابية والغموض كمصطلح ومفهوم وهو نوع ضمن جنس الشعر بأعرافه الراسخة في التلقي فكيف ستتم الصلة به بناءً على هويته السرابية المقترحة؟.
ولمزيد من التأكيد يقول الدكتور الصكر: وإذا ما تحققت ظروف التلقي المناسبة والإعداد والتأهيل المطلوب للقارئ فستجد قصيدة النثر مناخاً مناسباً للتواصل والتفاعل مع نصوصها وخطابها ولكنها لن تجد القبول المطلوب في سياق القراءة التي تليه التي تحتكم إلى الثوابت التي قامت عليها قصيدة النثر أصلاً وبجهود نصية متلاحقة من أجيال الشعراء الجدد على هدمها والخروج عليها.

القصيدة والجمهور

ويعمل الدكتور الصكر من خلال هذا الكتاب إلى أن الجمهور ليس هو الرأي الشعبي العام المتلقي جميعاً للشعر والرافض له بسبب كثافة أو متانة الجسم الشعري المتكون عبر تاريخ الشعرية العربية بل قد يكون الجمهور هو الرأي النقدي أو الأدبي المتسيد لا على فكر الجماعة التي خلقت لها الأعذار بتأخرها المفترض عن وعي الشعراء أنفسهم بل على فكر الخاصة من المهتمين بالشعر ودارسيه ومؤرخيه ومدرسيه ونقاده، مضيفاً أن هذا الجمهور الخاص أكثر خطراً على الشعر من الجمهور بمعناه العام والمشترك والجمعي.. ذلك أن لدى الجمهور الخاص ذرائع وأسباباً وحججاً أكثر قوة وذات جانب معرفي وايديولوجي أشد وعياً من الجماعة المتخفية والمتضمنة في اسم الجمهور.
ويتحدث الدكتور الصكر عن علاقة الجمهور بالقصيدة وعن تاريخ الشعرية العربية قديماً وحديثاً واعتماد الجمهور على الصور البلاغية والمعاني والصور التشبيهية التي وضعها البلاغيون التقليديون ليقيسوا بها القصائد الشعرية.
وقد وفق الدكتور حاتم الصكر في تحديد النصف الآخر من هذا الكتاب بدراسة نقدية مستفيضة لقصائد عدد من الشعراء العرب منهم محمود درويش والسياب والشابي والبريكان والجواهري وأدونيس والمقالح، حيث أثرى هذا الجزء بدراسة نقدية لقصائد مميزة لهؤلاء الشعراء ولتعم الفائدة.

إصدارات ثقافية

«ميرنامه - الشاعر والأمير»

● أصدر مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث رواية جديدة بعنوان «ميرنامه– الشاعر والأمير» للروائي جان دوست المقيم في ألمانيا وهو نفسه من قام بنقلها إلى العربية..
تدور أحداث الرواية في أماكن متعددة من الإمبراطورية العثمانية في القرن السابع عشر وخاصة بلدة بايزيد على الحدود بين الإمبراطوريتين الصفوية والعثمانية، ويصور الكاتب فيها عبر أكثر من عشرين شخصية متباينة الرؤي ومختلفة المشارب والتوجهات العلمية والمستويات العلمية سيرة حياة شاعر ومتصوف كردي ناهض الظلم بقلمه ودواة حبر فقط، وهو الشاعر أحمد خاني ١٧٠٩– ١٦٥١ أحد أكبر الشخصيات الأدبية تأثيرًا في تاريخ الكرد.
يمتزج الواقعي بالمتخيل الغرائبي في هذه الرواية ويكاد يكون الحبر ،الذي يجزم الكثيرون من شخصيات الرواية أنه هطل من السماء على شكل مطر رذاذ صبيحة دفن الشاعر، البطلَ الصامتَ في «ميرنامه».
والرواية إذ تعتمد على الحبر كحامل أساسي ورمز للمثقف، تريد أن تصور لنا صراع عوالمها عبر لغة شعرية متماسكة وسرد روائي يعتمد بالدرجة الأولى على تعدد الأصوات.
ولد الأديب جان دوست «الذي هو في الوقت نفسه مترجم الرواية إلى العربية » في عام ١٩٦٥ ، انتقل إلى حلب بين عامي ١٩٨٥ – ١٩٨٨ حيث درس العلوم الطبيعية ليتركها في سنته الثالثة متفرغاً للأدب والكتابة، بدأ نشاطه الأدبي منذ شبابه وكتب ملحمة شعرية عام ١٩٨٤ ونشرت عام ١٩٩١ في ألمانيا، توالت كتبه ورواياته وحصل على الجائزة الأولى في القصة القصيرة في سورية عام ١٩٩٣ وجائزة الشعر الكردي لعام ٢٠١٠ في سورية. تحولت إحدى قصصه «حفنة تراب» إلى فيلم سينمائي قصير في ألمانيا كما مثلت قصة أخرى له بعنوان «حلم محترق» على خشبة المسرح في تركيا.

«فنون الأدب»

● صدر مؤخرا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة،الطبعة الثانية من كتاب «فنون الأدب» للكاتب الإنجليزي ه.ب.تشارلتن أستاذ الأدب الانجليزي بجامعة مانشستر، وقام بترجمته للعربية الدكتور زكى نجيب محمود، وقام بتقديمه الدكتور إمام عبد الفتاح إمام ضمن إصدارات النشر العام بالهيئة.
يقع الكتاب في ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط ويحتوى على ٥ فصول يعرض في كل فصل شرحا مبسطا لكل فن من الفنون الأدبية، فكان الفصل الأول بعنوان «الشعر»، والثاني «النقد الأدبي»، والثالث بعنوان «كل فن لما خلق له»، أما الرابع فكان عن «القصة»، والأخير عن «الرواية المسرحية».
أوضح الدكتور زكى نجيب محمود فى مقدمة الكتاب أن الكاتب كان يهدف من كتابه هذا فئة القراء الأقل تعمقا في معرفة أصول النقد الأدبي، فهو يوضح في الفصل الأول كيفية قراءة الشعر حتى يستسيغه ويستطيع تذوقه، بينما يعرض في الفصل الثاني لبعض المعاني والمصطلحات الأدبية حتى يكون القارئ على دراية بما يقرأ، أما الفصل الثالث يشير فيه لأهمية كل فن أدبي، وكيف أن لكل فن خصوصية تختلف عن غيره، وتطرق في الفصل الرابع لفن القصة وأصولها وأوضاعها وشروطها، أما الخامس والأخير فعرض فيه أصول الرواية المسرحية.
كما يعرض الكتاب لميزة مهمة تختلف عن أي كتاب آخر، وهى أن المترجم لم يستخدم الشواهد والأمثلة الانجليزية لأنها قد تكون غامضة على القارئ العربي، واستبدلها بأمثلة من الأدب العربي.